

## ابن خالويه النحوي وكتابه "ليس في كلام العرب"

أ. سليم عواريب

المركز الجامعي ميلة ( الجزائر )

**Résumé:**

Cette étude parle d'une des plus importantes sources de la langue et la conjugaison Arabe, d'un des plus brillants savants du quatrième siècle de L'hégire, et c'est **IBEN KHALAWEH**. Dans cette étude nous allons aborder le sujet de son livre **ce n'est pas dans**

**le langage des arabes**, qui est un livre non connu ou son auteur a mit tout ce qu'il savait sur le langage des arabes, du langage le plus utilisé à celui le plus négligé, dans une structure unique en se basant sur l'élite des savantes arabes tel que **el Khalil, sibaouih, Iben el sarraj**.

C'est pour cela nous allons étudier sa vie, son époque, puis ses œuvres de conjugaison et de la linguistique.

Comme nous allons découvrir sa méthode, et les sources de son livre, et nous allons jeter un œil sur ses sujets et ses plus importantes opinions et critiques sur les œuvres les plus connues de la langue arabes.

يعدّ ابن خالويه أحد النحاة القدامى البارزين الذين لهم اليد الطولى في إثراء النحو العربي، وهذا من خلال آرائه ونظرياته الوقّادة التي ما فتئت تنتشر في طيات أسفار النحو واللغة، حتى لمع نجمه في سماء العربية، ولم نكن نعرف الرجل إلاّ من خلال كتابه إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، حتى سقط في أيدينا جوهرة أخرى من جواهره التي ألفها، وهو كتاب "ليس في كلام العرب"، أو كما يعرف عند بعضهم باسم "كتاب ليس" الذي سنحاول أن نسبر أغواره من خلال إعطاء بطاقة فنية له، ونرى مدى اتساع حافظة هذا العالم الجليل التي استوعبت كلام العرب، وأحاطت بما روي عنهم، كما يحيط السوار بمعصم اليد، ناهيك عما يذكره من مُثُلٍ وصيغٍ وأنبيةٍ وردت في الذكّر الحكيم، أضف إلى ذلك ما أورده عن الآثار والصحابة الأخير.

والأمر الذي دفع بنا إلى استقصاء أخبار ابن خالويه بين كتبه، هي تلك الرؤى والنظريات المبتوثة في أمات كتب اللغة والنحو، مثل البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام، والأشباه والنظائر للسيوطي، وغيرها كثير. أمّا اختيارنا لكتابه ليس في كلام العرب فيرجع إلى عدم شهرته بين أوساط المتخصصين إلى جانب كتبه الأخرى.

وسندرس الموضوع من حيث حياة المؤلف و عصره، ومؤلفاته، ثم منهجه في كتابه "ليس"، وكذا مصادر مادته في الكتاب نفسه، ثم نشير إلى موضوعات كتابه وآرائه المبتوثة في كتب اللغة.

**حياته وعصره:**

ابن خالويه « هو أبو عبد الله الحسين بن محمد نشأ بهمدان ووفد إلى بغداد وأخذ عن ابن الأنباري وابن دريد وغيرهما »<sup>1</sup>، ولم يحفظ لنا التاريخ سوى سنة وفاته وهي ثلاثمائة وسبعون للهجرة، اتصل بجلّة العلماء أثناء تواجده

ببغداد، فقرأ على السيرافي أبي سعيد شارح كتاب سيبويه ونفطويه، أما قراءة القرآن فقد تلقاها عن ابن مجاهد، فضلاً عن تلقيه قراءات عاصم ونافع وحمزة<sup>2</sup>.

وكغيره من اللغويين والنحاة، اتصل ابن خالويه بالخليفة سيف الدولة الحمداني حينما سكن حلب، فأدب بعض أولاده إلى أن استقام علمه وذاع صيته، فأصبح قبلةً لطلاب العلم<sup>3</sup>.

واجتماعه بسيف الدولة جعله يتعرف ويجتمع بنابغة الشعر أبي الطيب المتنبي الذي كان بينه وبين ابن خالويه مناظرات، إن لم نقل عداوة، ومما يروى أن ابن خالويه كان يكره المتنبي لمكانة أبي الطيب وعلمه بالشعر وبالعربية أيضاً، وتروي كتب التراجم والنحو بعض تلك المناظرات التي كانت حامية الوطيس بين العالمين، وسنسوق واحدة منها على سبيل التمثيل<sup>4</sup>.

فمن أشهرها بيت المتنبي الذي قاله بحضرة سيف الدولة وهو :

**وفاؤكُمَا كَالرَّبِيعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ \* \* \* بَأَنْ تَسْعَدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ**

«وكان ابن خالويه حاضراً فاعترض على المتنبي وقال له: تقول أشجاه وهو شجاه لأنه إذا جاء المتعدي من الثلاثي فلا يجوز المجيء به من غيره بتعديته بالهمزة أو التضعيف فردّ عليه المتنبي: اسكت ليس هذا من علمك إنما هو أفعل التفضيل»<sup>5</sup>.

وهذه الحادثة مما خطئ فيها ابن خالويه، وكان الصواب ما قاله المتنبي، ووصل التباغض بين الرجلين إلى حدّ الضرب، حيث قذف ابن خالويه المتنبي بمفتاح شجّ به وجهه، وكان الرجل كان يغار من المتنبي، وبخاصة إذا علمنا أنّهما لم يكونا يبرحان بلاط سيف الدولة الذي كانت له عليهما يدٌ تغدق عليهما بالعطاء، كدأب الخلفاء العباسيين وقتذاك، ولم يكن المتنبي بعنفوان ابن خالويه، بل كان يتحاشاه لا خوفاً منه ولكن ترفعاً وإياءً وزهداً<sup>6</sup>، وفي مقابل هذه العلاقة المتوترة بين الرجلين كانت هناك صداقة لا مثيل لها بين المتنبي وابن جني في ذلك الوقت، والشاهد على ذلك رثاء ابن جني للمتنبي بمرثية مطلعها:

**غَاضَ القَرِيضُ وَأَوْدَتْ نَضْرَةَ الأَدَبِ \* \* \* وَصَوَّحَتْ بَعْدَ رِيٍّ دَوْحَةَ الكُتُبِ<sup>7</sup>**

وابن خالويه من علماء القرن الرابع الهجري، وهو العصر الذهبي الذي ازدهرت فيه العلوم وصنفت فيه المؤلفات، وانتشرت فيه حركة علمية وفكرية ليس لها نظير، على الرغم من أنّ هذه الفترة هي بداية لتقهقر أهمّ علوم العربية مثل علم النحو، بيد أنّ هذا لم يمنع من بروز بعض علماء العربية الموسوعيين الذين ارتبك المؤرخون في تصنيفهم بين الأدبية واللغوية والنحوية، منهم السيرافي وابن جني، والتبريزي، والزيبي، والبطلبيوسي، وهم ممن عاصروا ابن خالويه رغم ضيق علمه مقارنةً بهم<sup>8</sup>.

**مؤلفاته:**

إنّ معظم من يسمع بابن خالويه، يعرف ويدرك تماماً قيمة مصنفه الذي صنّفه في إعراب القرآن، وهو إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ولكنه ليس الكتاب الوحيد الذي أبدع فيه ابن خالويه، فله مصنّفات أخرى لا تقل أهميته عن سابقتها، فله "ليس في كلام العرب" الذي نحن بصدد دراسته، و"كتاب الأسد" الذي ذكر فيه خمسمائة

اسم للأسد، وله "الجمال في النحو"، وله "كتاب الاشتقاق"، و"كتاب اطرغش"، و"المقصود والممدود"، و"المذكر والمؤنث"، و"كتاب المبتدأ في النحو"، و"كتاب تلفية ما اختلف لفظه وانتق معناه" لليزيدي، و"كتاب شرح المقصورة"، و"كتاب الألفات"، و"كتاب البديع في القراءات".<sup>9</sup>

فالملاحظ لهذه المصنّفات وما تحويه، يدرك أنّها تتّصل باللغة والنحو والصرف، كما تعطينا صورة واضحة عن سعة اطلاع هذا العالم على لآئ اللغة العربية، وبخاصّة إذا تصفّحنا كتابه ليس في كلام العرب الذي بثّ فيه ما حفظه واطّلع عليه، فجاءت مادته في مائة واثنين وثمانين باباً، أغلبها في الصرف، ولم يكن ابن خالويه السباق في هذا المضمار، فأغلب مادة كتابه قد ذُكرت عند اللغويين السابقين بدايةً من سيبويه والفراء، غير أنّه أتى بما أحاط حفظه كما يذكر في مقدمة كتابه القصيرة حيث يقول: «ليس في كلام العرب إنّما هو على ما أحاط حفظي وفوق كلّ ذي علم عليّ»<sup>10</sup>.

فهو يعترف - بكل تواضع - بعلمه المحدود، وبضعف الإنسان في الإحاطة بالعلوم.

وكتاب ليس كتاب صغير، لم يتجاوز المائتي صفحة، زاده المحققون حسناً وبيانياً بتحقيقاتهم الباهرة أمثال أحمد عبد الغفور عطار الذي اعتمدنا على نسخته.

#### منهجه في كتاب ليس:

لقد ضمّن ابن خالويه كتابه "ليس" ما أحاط به من كلام العرب، حتّى ميّز المستعمل وما نطقت به العرب من غيره، فنراه يلجأ إلى حصر ما تكلمت به العرب، وينفي عنها كلاماً آخر كقوله: «ليس في كلام العرب: جمع واحد بلفظ واحد وحركة أوله في الجمع مثل حركته في الواحد إلاّ الفلك»<sup>11</sup>.

فهو يكرر جملة (ليس في كلام العرب) في أغلب مواضع الكتاب، غير أنّه يستبدلها في بعض الأحيان بقوله (ليس أحد يقول)، أو (لم نجد في كلام العرب)، أو (ليس يجيء)، أو (ليس في كلام سيبويه)، وهذا السبيل الذي نهجه ابن خالويه واتّسم به كتابه، ورث اعتراضات كثيرة، وبخاصّة حول فقدانه للاتّساق والنظام، «فهو يحشر في الباب ما ليس منه كأن يقول: «ليس في كلام العرب صفة على فعلاء إلاّ طور سيناء»، ثم يقول أرض حرماء وأرض جلاء وأرض جداء وأرض يهماء وأرض مسحاء وأرض خبراء وأرض حيثاء»<sup>12</sup>، حينما عطف هذه الأوصاف على سيناء على أنّها مكسورة، والظاهر عكس ذلك، أي أنّها مفتوحة.

ولقد قسم ابن خالويه كتابه كما ذكرنا إلى مائة واثنين وثمانين باباً، ولم تكن تلك الأبواب تخضع إلى ترتيب معيّن، ولم يُسم تلك الأبواب إلاّ بعضها كما في باب: (مستقصى عن غرائب الجمع)، وباب (استقصاء التنثية)، وباب (غرائب المصادر مجموعة).

#### مصادر الكتاب:

لقد صرّح ابن خالويه في مقدمة كتابه أنّ مادته هذه من نتاج ما حفظه، فالمنتبع لكتابه يجد نقولاً كثيرةً عن اللغويين والنحويين كسيبويه والخليل وأبي زيد والفراء وثعلب وابن دريد وابن مجاهد ونفطويه وأبي عمرو وعيسى بن عمر، فكان ينتخب من آراء هؤلاء الفطاحلة من دون تصويب، أو إعطاء رأيٍ خاص، مما يدلّ على نقله وعلى سعة اطلاعه على مصادر التراث العربي، ومن مصادر الكتاب أيضاً القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فقد



ويضيف أنه ورد قبعثر دون ألف<sup>33</sup>، وإذا رجعنا إلى ابن مالك فإنه يجزم بأن منتهى الاسم في التجريد خمس أحرف فيقول:

ومنتهى اسم خمس إن تجرد \*\*\*\* وإن يزد فيه فما سبعا عدا

ويمثل بـ سفرجل<sup>34</sup>.

ومن القواعد اللغوية أيضاً يقول في باب آخر: «لم نجد صفة على فاعل للمبالغة إلا في حرفين: رجل جامل بمعنى جميل ورجل ظارف بمعنى ظريف. والجيد أن تقول: رجل ظريف في الحال، وظارف عن قليل، وميت في الحال وماتت عن قليل، وغضبان في الحال، وغاضب عن قليل، ويقال: رجل ظريف وظارف كما تقول: رجل كبير وكبار وكبار وكلّ فعيل جائز فيه ثلاث لغات فعيل وفُعَال وفُعَال: رجل طويل، وإذا زاد طولها قلت: طُوال...»<sup>35</sup> وأما عن آرائه اللغوية فهي متناثرة بغزارة في أمهات الكتب اللغوية العربية، أخذت من مؤلفاته التي أشرنا إليها، ومن تلك الآراء والمذاهب نذكر رأيه في اللام غير العاملة في مثل قولنا (لظرف زيدٍ ولكرم عمرو)، وهي لام التعجب غير الجارة يقول ابن هشام في المغني أنها «بمعنى ما أظرفه وما أكرمه ذكره ابن خالويه في كتابه المسمى بالجمل»<sup>36</sup>.

ويذكر ابن هشام في موضع آخر من كتابه نفسه رأي ابن خالويه في الواو التي وردت في قوله تعالى: «سيفولون ثلاثة رابعهم كلبهم... وثامنهم كلبهم» [الكهف/18...22]، حينما ذهب إلى أنها تسمى "واو الثمانية"، وذلك «أنّ العرب إذا عدّوا قالوا: ستة سبعة وثمانية إيذاناً بأن السبعة عدد تام وأن ما بعدها عدد مستأنف»<sup>37</sup>.

ومن المصادر الأخرى التي بحثنا فيها عن رأي لابن خالويه، كتاب الأشباه والنظائر، حيث نقل السيوطي رأياً لابن خالويه في تشبيه وجمع (الوضع) عندما سأله سيف الدولة عن ذلك فأجاب قائلاً: «إنه جرى في كلامهم كالمصدر لم يثن ولم يجمع مثل البخل قال الله تعالى: ﴿وياأمرؤ الناس بالبخل﴾<sup>38</sup>، ولم يقل بالأبخال ولو جمعناه قياساً لقلنا أبضعا مثلاً: فقل أقل وخرج أخرج لأنّ فعلاً يجمع على أفعال»<sup>39</sup>، ثم إنك إذا تتبعت الكتب التي تعنى بتقسيم القرآن وإعرابه، فإنك تجد غير موضع من المواضع التي حوت آراء ومذاهب ابن خالويه، فعلى سبيل المثال نجد أبا حيان الأندلسي قد نقل عدّة آراء عن ابن خالويه في كتابه البحر المحيط في التفسير، حيث بلغت \_ فيما نظن \_ حوالى تسعة وثمانين موضعاً في أجزاء مختلفة من كتابه<sup>40</sup>.

وأخيراً نأمل أن نكون قد قدّمنا ولو تعريفاً بسيطاً لأحد أعلام اللغة العربية الأفاضل، وهو ابن خالويه من خلال كتابه "ليس في كلام العرب"، وخلصنا إلى أنّ هذا العالم لم ينبغ في علم واحد فحسب، بل كان شبه ملمّ بعلوم اللغة العربية، وأنه نبغ أكثر في إعراب القرآن وقراءاته، على الرغم من الهنات التي رصدها عنه العلماء والدارسون، غير أنه لا يمكن الاستهانة بما قدّمه إلى اللغة والنحو، كما أنه صنّف من بين أجلّ اللغويين والنحاة في القرن الرابع الهجري، وحسبنا من خلال هذه الدراسة أن نحوي تراثنا ونقله كما هو، ونذكر ما له وما عليه، والله المستعان على ذلك.

## الإحالات والهوامش:

- 1- ينظر نشأة النحو، محمد طنطاوي، دار المنار، 1991م، ص120
- 2- ينظر ليس في كلام العرب، ابن خالويه، تح: أحمد عبد الغفور عطار، المكتبة الجامعية الاسكندرية 2004م، ص5، 6
- 3- ينظر المصدر نفسه، ص6
- 4- ينظر نشأة النحو، ص120
- 5- ليس في كلام العرب، ص7
- 6- ينظر ليس في كلام العرب ص8
- 7- ينظر مقدمة الخصائص لابن جني، تح (هنداوي) ج1، ص9
- 8- ينظر نشأة النحو، ص118
- 9- ينظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، تح: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى ص5، وليس في كلام العرب، ص:9، 10
- 10- ليس في كلام العرب، ص21
- 11- المصدر نفسه، ص130
- 12- المصدر نفسه، ص11
- 13- المصدر نفسه، ص14
- 14- الزيزم: صوت الجن، يراجع ليس في كلام العرب، ص87
- 15- الهزنبان: الحديد: لسان العرب لابن منظور، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م، مج2، ص308
- 16- شمنصير: جبل من جبال هذيل معروف، يراجع اللسان، (شمصر) مج4، ص497، يراجع ليس في كلام العرب، ص87
- 17- الدردقس: عظم في الرقبة، ليس في كلام العرب، ص87
- 18- إصرى: العزيمة، (اللسان)، مادة (صرر) مج4، ص523
- 19- مأك: من (ألك) قال ابن منظور: ألك: في ترجمة عالج يقال هذا ألك صدق وعلوك صدق وعلوج صدق لما يؤكل... الليث الألوک الرسالة وهي المألكة، على مفعلة، سميت ألوکاً لأنه يؤلك في الفم مشتق من قول العرب: الفرس يألك اللحم والمعروف يلوك أويعلك أي يمضغ... والألوک والمألكة والمألكة: الرسالة لأنها تؤلك في الفم. ويقال: ألك بين القوم إذا ترسل ألكاً وألوکاً والاسم منه الألوک وهي الرسالة، وكذلك الألوكة والمألكة والمأك. (اللسان) مادة (ألك)، مج10، ص473
- 20- هندلق: وعند ابن السراج وابن جني الهندلع وهي عندهم بقلة أي نبات، يراجع ليس في كلام العرب، ص87، وينظر الخصائص، تح: هنداوي، ج2، ص417
- 21- الصنبر: الريح الباردة، هامش كتاب "ليس"، ص88
- 22- الهيدكر: رجل هداكر: منعّم وامرأة هيدكر وهذكورة وهيدكورة: كثيرة اللحم (اللسان) مادة (هدكر)، مج5، ص303
- 23- تلقامة: اللقم: سرعة الأكل والمبادرة إليه... ورجل تلقام و تلقامة: كبير اللقم وفي المحكم: عظيم اللقم (اللسان) مادة (لقم)، مج12، ص647
- 24- فرناس: قال ابن منظور في اللسان مادة (فرس): والفرناس مثل الفرصاد: من أسماء الأسد مأخوذ من الفرس، يراجع اللسان، مج6، ص192

- 25- مهوأن: والمهوان بضم الميم الصحراء الواسعة . (اللسان) مادة (هوأ)، مج1، ص224
- 26- دحيدح: هكذا حكاه ابن خالويه وعند غيره مثل ابن السراج (دحندح)، وهو كذلك عند ابن منظور ومعناه عنده دويبة، ينظر اللسان مادة (دحح)، مج2، ص508
- 27- خزانق: وعند ابن السراج خزانق ويبدو - والله أعلم- أن هناك تصحيف في إحدى اللفظتين، وخزانق عند ابن منظور ضرب من الثياب فارسي. (اللسان) مادة (خزق)، مج10، ص55
- 28- ينظر الأصول في النحو لابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، ج3، ص224
- 29- ينظر الخصائص، ج2، ص403
- 30- ليس في كلام العرب، ص34
- 31- المصدر نفسه، ص64
- 32- ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، ص495
- 33- ينظر هامش كتاب ليس في كلام العرب، ص65
- 34- ينظر شرح ابن عقيل، ج2، ص486
- 35- ليس في كلام العرب، ص66، 67
- 36- مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ص238
- 37- المصدر نفسه، ص351
- 38- سورة الحديد الآية 24
- 39- الأشباه والنظائر للسيوطي، دار الكتب العلمية، ج3، ص138
- 40- ينظر مثلاً البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ج1، ص85، ج7 ص144، 145، 153، 160، 171، 178، ج8، ص36، 87، 91، 135، 158، 226، 293، 304، 312، 318، ج9، ص56، 60، 75، 77، 81، 83، 93، 221، 244، 254، ج10، ص12، 42، 71، 77، 89، 210، 303، 354، 389، 414.